ملحق اسبوعي 8 صفحة رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير فخري كريم العدد (4797) السنة الثامنة عشرة - الاثنين (26) تشرين الأول 2020
www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

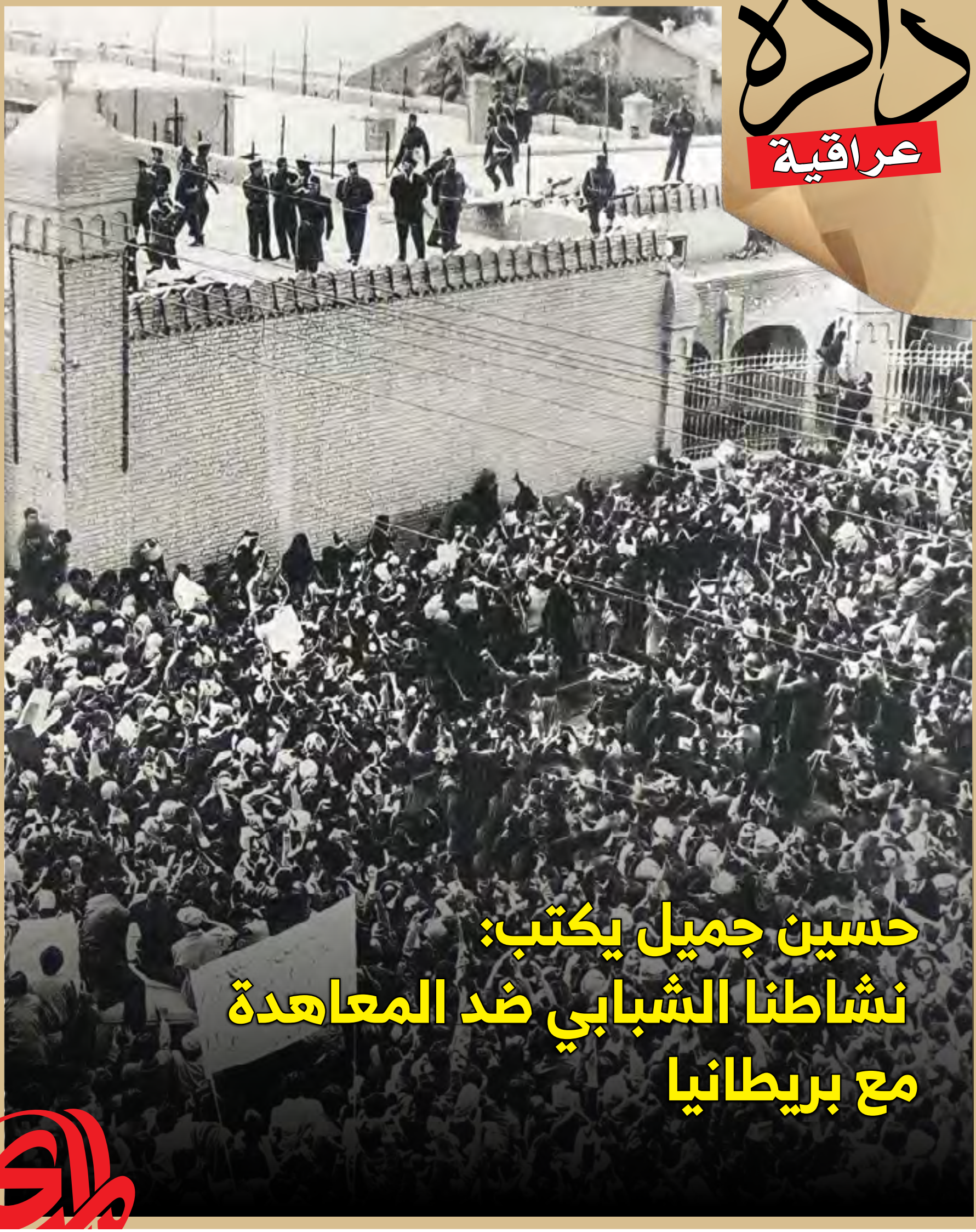

حسين جميل يكتب:
نشاطنا الشبابي ضد المعاهدة مع بريطانيا

ذاكرة
العدد (4797)السنة الثامنة عشرة
الاثنيـن (26) تشـرين الأول 2020

١٠٠ عام على تأسيس اول حكومة عراقية

فـي الخامس والعشـرين من تشـرين الاول عـام 1920 تألفـت اول وزارة عراقية في تاريـخ العراق الحديث بقـرار بريطاني وبتوجيه مباشـر من الادارة البريطانية المحتلة ، وهي وزارة السـيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب اشـراف بغداد ، التي عرفت بالـوزارة المؤقتـة ، وهي الوزارة التي مهدت لحادث جسـيم في تاريخنا الحديث وهو تكويـن الدولة العراقية بتولي الامير فيصـل بن الحسـين عرش العراق ، وقد كانت تلك المهمة الرئيسـة لتلـك الوزارة المؤقتة .. وبهذه المناسـبة اخترنا هذا النص المهم من كتاب بيتر سلغليت (بريطانيا في العراق ، صناعة ملك ودولة) الصادر عن دار المدى سنة 2019 بترجمة الراحل عبد الاله النعيمي . (ذاكرة عراقية)

بحلول تشـرين الأول/أكتوبر اسـتعاد الجيش سـيطرته مـن حيـث الأسـاس، وحـل كوكـس محـل ولسـن، وكان واضـحاً أن طريقة غير محدّدة بعد ستُعتَمد لاختيار حاكم يحظـى بقبـول السـكان. ولكن حتـى نهاية العـام، عندما حزمت الحكومة أمرها بكل تأكيد لدعم ترشـيح أحد أبناء الشـريف، ظل كوكس جاهلاً بنيـات بريطانيا بقدر ما كان ولسـن من جانبـه جاهلاً بها، رغم أنه كان أكثر اسـتعداداً لفهم الحكمة من إجراء ممهدات سريعة. وهكذا في تشرين الأول/أكتوبـر ١٩٢٠ ، كان الجميـع ينتظـرون أن ينطق العـرّاف، وكان المنتظَر صـدور بيان سياسـي بالغ الأثر، ولكن لم يحدث شـيء في هذه الأثنـاء. وحدث انفراج في الوضـع بتأثير سـمعة كوكس الرفيعة والإحساس العام، الـذي لم يكن تماماً من دون مبرر، بـأن عودته تنبئ بنوع من التسوية المؤكدة. وقد وصف مهمته بأنها التعهد (.. بتحويـل واجهة الإدارة القائمة تحويلاً سـريعاً كاملاً وضـرورياً من بريطانية إلى عربية، وفي مجرى العملية، إجراء خفض شـامل بأعداد الكوادر البريطانية والهندية البريطانيـة المسـتخدمة... ومهمـا كانت المشـاعر الأولية التـي ربمـا راودت الكثـير مِن رفاقي، بـل لا بد مـن أنها راودتهـم، فـإن غالبيتهـم سـلّموا تدريجياً بالـرأي القائل إن التجربة، كبديل عن السياسـة بأكملها، كانت تسـتحق المحاولة وليس بالضرورة محكوماً عليها بالفشل).

في غضـون أسـبوعين مـن وصـول كوكـس أفلـح في إقنـاع نقيب الأشـراف،عبد الرحمن الكيـلاني، بأن يكون رئيـس مجلس دولة ليقـدم بذلك دليلاًمرئيـاً على نيته في تشـكيل حكومة عربية. وانضـم إلى المجلس غالبيةالذين وُجهـت إليهم دعوة للانضـمام، وفي ١١ تشـرين الثاني/ نوفمبرأعلـن كوكـس تشـكيل حكومـة مؤقتـة كحقيقـة ثابتـة))٨). ومـا لم يكن قادراً علـى أن يفعله هو إعلان أي تفاصـيل عن رئيس الدولة المقبل، وأصـبحت هذه المسألة مبعث القلق الرئيس خلال الأشهر التالية.

كان تنصـيب «حاكم مقبول » يتسم بأهمية بالغة للحكومة البريطانية في ضوء المواقف المتغيرة في اروقة وايتهول. وفي صـيف ١٩٢٠ اقـترح أدويـن مونتاغـو Edwin Montagu ، وزيـر الدولـة لشـؤون الهنـد، أن مـن المستحسـن إعادة النظـر بطبيعة العلاقـة البريطانية مع العـراق، وتسـاءل إن كان الانتـداب، في شـكله القائـم، هـو الأداة الأنسـب. وانبثقت من ذلك الفكـرة القائلة بأنه سـيكون تنازلاً بخس الثمن للمشاعر الوطنية أن يُستغنى عن شـكل الانتداب وفي الوقت نفسه الإبقاء على جوهره، وأن يُسـتعاض عن العلاقـة الإنتدابيـة بمعاهدة تحالف. وكانـت المعاهدة تعنـي ضمناً أطرافاً متعاقـدة وموقعة، وسيكون لحاكم العراق المقبل دور مهم في هذه الصيغة.

لم تكن مشـكلات السير بيرسـي كوكس في بغداد تقتصر علـى إيجـاد ظـروف ملائمة لمرشـح مناسـب يجلس على عرش بـلاد مـا بـين النهريـن،أو إقنـاع وزراء ممانعـين بقبول الحقائب المعروضة عليهم))٩). وفي أواخرخريف ١٩٢٠ كان لم يـزل هناك قدر كبير من الشـك فيما إذا كانت بريطانيا سـتبقى في بـلاد ما بين النهرين أصـلاً، وما إذا كانت القـوات البريطانية ستنسـحب إلى البصـرة أو لا. وكان هذا اللايقين، الذين اسـتمر بهـذا القدر أو ذاك حتى ترسيم الحدود الشمالية بصورة نهائية في عام ١٩٢٦ ، ذا أهمية حاسـمة بصفة خاصة في هذه المرحلة المبكرة))٩). وكان اعتراض الصحافة البريطانية والبرلمان البريطاني على اسـتمرار الإنفاق في بلاد ما بـين النهرين بطيئاً الآن في الوصول إلى بغداد. وأرسلت غرفة التجارةالبريطانية في بغداد برقية احتجاج لاذعة إلى مكتب الهند:

«إن القـوات البريطانيـة باحتلالهـا بـلاد ما بـين النهرين دمـرت شـكل الحكـم الوحيـد الـذي كان البلـد يعرفه منذ قـرون... والجـلاء في الوقـت الحاضـر سـيتركه بلا أي حكومـة جديـرة بهـذا الاسـم. وهكذا سـتكون المحصلـة النهائية للتدخل البريطاني في بلاد ما بين النهرين دمارها الكامـل الـذي سـتقع المسـؤولية النهائية عنـه على عاتق حكومة صـاحب الجلالـة. وتـدرك الغرفة تمامـاً الحاجة الملحة إلى تخفيف عبء دافع الضرائب البريطاني وتعتقد أن هذا يمكن أن يتحقق بأمان وشـرف على الأسـس التي تفكـر فيها حالياً واسـتهلتها حكومة صـاحب الجلالة»)).

في نهاية المطاف كان استمرار الوجود البريطاني سيُكفَل من خلال إجراءات أقرها مؤتمر القاهرة وكذلك بتشـجيع مرشـح للعرش يُعتقَد أنه على الأرجح سـيحقق أكبر قدر من الاستقرار للبلد.

كانـت المسـألة الأنية التـي واجهت السـلطات البريطانية في ربيـع ١٩٢١ هـي قضـية «انتخـاب » فيصـل للعرش التـي كانت أقـرب إلى الأوبـرا الكوميدية. فإن احتضـان البريطانيـين له اسـتبعد عملياً إمكانية اختيـار أي -٩٢- مرشح آخر ولكن كان من الضروري أن ينال تأييداً واسعاً مـن الرأي العام في العـراق، وعلى الأقل ألا يبدو أن هناك معارضة واسعة ضـده)خدوري، ١٩٧٠ : ٢٣٩ - ٢٤٢ (. وكان اثنان من المرشـحين المحليين الثلاثة بلا فرص تُذكر للنجاح. فالنقيب طاعن في السـن وشيخ المحمرة شيعي. ودُفع الأول برفق إلى سـحب ترشـيحه فيما نصـح السير بيرسي

كوكـس الثـاني مباشـرة بعـدم التنافس. وكان المرشـح الثالث، السـيد طالب النقيب، يشـكل تحدياً حقيقياً، وفي النهاية أبعدته السـلطات البريطانية فيما يبدو أنها كانت ظروفـاً غامضـة))). وباختفاء طالب النقيب من السـاحة كان نجـاح فيصـل مفروغاً منـه.(-١ يُقال إن سـبب إقالة السـيد طالب كان تهديده بانتفاضـة مسـلحة خلال مأدبة عشـاء خاصة حضـرها، من بين آخرين بيرسيفال لاندون Percival Landon مـن صـحيفة الديلي تلغراف. ويبـدو أنه احتجز ثم أُبعد لدى مغادرته جلسـة شـاي مع الليدي كوكس في المقيمية بعد أيام قليلة.)

كان موقـف فيصـل في الفترة التي سـبقت انتخابه موقفاً حساسـاً بصـفة خاصـة لأن عليه أن يبـدو في وقت واحد «وطنياً » وممتثـلاً لرغبات الحكومات البريطانية عموماً. وهكـذا فإنه لم يسـتطع أن يبدو قادمـاً إلى العراق بدعوة صـريحة مـن بريطانيا، ولكـن ينبغي، مع ذلـك، أن يكون الموقـف البريطـاني واضـحاً إزاءه. ولهذا السـبب كانت هناك تحركات ومراسـلات كثـيرة بين بغداد وجدة ولندن بعـد عودة المندوب السـامي مـن مؤتمر القاهـرة، ومرت زهاء شـهرين)من منتصـف نيسـان/أبريل إلى منتصف حزيران/يونيـو ١٩٢١ (بـين عـودة كوكـس إلى بغـداد ومغـادرة فيصـل مـن جـدة علـى مـتن سـفينة بريطانيـا لنقـل البريـد. ولاسـتجلاء الأمـور طلب كوكـس، ووافق تشرتشل، أن يصدر في إنكلترا إعلان لنيات بريطانيا.

وصـدر الإعـلان في مجلـس العمـوم يـوم ١٤ حزيران/ يونيو. وأرسـل نصبلاغ مستوحى رسمياً لوكالة رويترز إلى بغداد بعد أيام قليلة:

((اسـتجابة لاستفسارات من أنصـار الأمير فيصل أعلنت الحكومـة البريطانيـة أنهـا لـن تضـع عراقيـل في طريق ترشيحه، وإنه، إذا وقع عليه الاختيار، سينال دعمها)) .

ذاكرة
العدد (4797)السنة الثامنة عشرة
الاثنيـن (26) تشـرين الأول 2020

من اوراق الراحل حسين جميل في الثلاثينيات

نشـاطنا الشبابي ضد المعاهدة مع بريطانيا

■ اعداد : عمارعبد القادر الزهاوي

محاولة لاغتيال نوري السعيد

في غمـرة معارضـتنا عقد معاهـدة التحالف مـع بريطانيا سـنة ١٩٣٠فاتحنـي احـد عناصـر "فريقنـا "جميـل عبد الوهـاب باقـتراح ان نغتـال نوري السـعيد، وقـال لي ان نوري السعيد يذهب ليلا لزيارة صديق له هو (فلان ذكرى اسـمه وقد نسـيته) وتقع داره في الحيدرخانة قرب شعبة مدرسة البنات المركزية – و الطريق التي يسلكها نوري الى الدار هي طريق العاقولية الى بيوت بيت الالوس

ثـم الى الزقـاق المقابـل التـي تقـع في مدخله دار حسـين مكي خماس وعباس فضـلي خماس الى الدار المقصـودة. ويمكننـا ان نكمـن له في محل ما من هـذا الطريق الطويل وبعد اطلاق الرصـاص عليه نسـتطيع ان نختفي في زقاق مـن الازقة الكثيرة في هـذه المنطقة. قلت لـه اننا يجب ان لا نسـلك طريـق الاغتيال السياسـي فهو طريق مسـدود لا يؤدي الى نتيجة ايجابية في تحقيق اماني الشعب الطامح الى الاسـتقلال. وذهاب مـن نعتقد انه يتعاون مع الاجنبي لا ينهـي هـذا التعاون حيث يوجد كثـير ممن يحلون محل الـذي يذهب، امـا الطريق المجـدي فهو الطريق الشـعبي، تنامي قوى الشـعب وقيامهـا بحركة تسـتطيع ان تفرض حلولهـا في المجتمـع، وقد اقتنع جميل عبـد الوهاب براي هذا وعدل عن ماكان يفكر فيه.

كان هـذا الحديث معي وحدي ولا اعتقـد انه فاتح به احداً من عناصـر "الفريق "فـان احداً منهـم لم يتحدث فيه، ولم يكن موضع بحث.

اول رسالة سياسية اكتبها

بحثنا نحن الشبان المعارضـون لسياسـة السـلطة تجاه بريطانيا الرسـائل التي نمارسـها في نشـاطنا السياسي، فـكان من راينا انه يجب ان تكون لها في المسـتقبل جريدة يوميـة سياسـية، تبشـر بدعوتنـا وتعبر عـن آرائنا في الاحداث الجارية. وحيث كان من شـروط المدير المسؤول للجريـدة – بموجب احـكام قانون المطبوعـات النافذ- ان يكون متخرجاً في مدرسـة عالية وكنت انا الوحيد من بين "الفريق "اكملت الدراسـة العالية وكان الاخرون مازالوا في كليـة الحقـوق واغلبهم في الصـف المنتهـي، لذلك كان الـراي ان اتقـدم انـا بطلب امتياز اصـدار الجريـدة، بعد ان اكمـل معاملـة تعـادل شـهادتي مـن معهـد الحقوق في دمشق مع شـهادة كلية الحقوق العراقية. والى ان يتم ذلك قررنا اصـدار رسـائل بحجم صغير في مواضـيع دعوتنا السياسية.

وصدرت اول رسالة لي بعنوان "انكلترا في جزيرة العرب "صدرت في اول آب ١٩٣٠، وكانت مواضيعها "السياسة الانكليزية في الجزيرة "و "انكلترا بين الالحاق والحماية والانتداب الفـاظ لمعنـى واحـد "و "الانكليـز خصـوم الوحـدة العربيـة "و "معاهدة سـايكس بيكـو " و "كيف اغتصب الانكليـز الكويـت ". وكانـت الرسـالة في "٢٦ "صفحة ومواضيعها كنت قد كتبتها وانا طالب في الصف المنتهي من معهد الحقوق في دمشـق. ونشـرت واحداً من مواضـيعها في جريدة الشعب في دمشـق وموضوعاً اخر نشـرته جريدة النداء في بيروت وهذه الجريدة هي لسان حال حزب النداء القومي في لبنان.

كتبنـا على هذه الرسـالة انهـا الرسـالة الاولى، واعلنا في ظهـر غلافهـا الاخـر عـن الرسـالة الثانيـة وانها سـتكون بعنـوان "عدم التعـاون "بقلم فائـق السـامرائي، وعرفنا القـارئ بمواضـيعها وانها ستضـم فصـولاً في السياسـة السلبية والايجابية، وفشل طريقة المفاوضات في نهضات الشـعوب وضـرورة مقاطعـة المجالس النيابيـة لانها في البلاد المسـتعمرة اداة المستعمر.ولم تصـدر هذه الرسالة حيث جرى بعد مدة قصـيرة توقيفنـا ومحاكمتنا والحكم بالحبـس على اكثرنا، مـن الذين اوقفـوا وحوكموا فائق السامرائي.

توقيفنا ومحاكمتنا

وكتبنا بياناً طبعناه في مطبعة الاداب ايضاً بشكل منشور يـدوي طبعنا منـه اربعة الاف نسـخة ووزعنـاه نحن في مناطـق بغـداد المختلفة، ولم ينتشـر في صـحيفة ما. انما قراه فائق السـامرائي في افادته في المحاكمة التي سياتي الحديث عنها – ونشـرته الصـحف مع افـادة فائق، وكان المقصود من قراءته في المحاكمة ان يسمعه المستمعون في المحكمة وان ينشـر في الصحف ضمن اجراءات المحاكمة. وهذا المنشـور الثاني كان موضـوع المحاكمة. ونصـه هو التالي:

"الاضـراب العـام والاجتمـاع السياسـي والتظاهـرات الكبرى

عصر الاثنين المقبل ٢٢ ايلول سنة ١٩٣٠

من الشباب الى الشعب العراقي العظيم:

انت تقاسـي الجـوع والعربـى والانكليز واتباعهم سـبب جوعـك وعـراك، وهـم ينعمـون بثروتـك وغنـاك وهـم الذيـن مزقوا قومك وسـاموك الذل فلهـم في كل موطن من مواطننا مظالم، ففلسـطين مرهقة يشـتت الانكليز ابناءها ويخرجونهـم من ديارهم ليسـكنوا الصـهيونيين الاعداء فيهـا. وقـد ارهقـوا ومازالوا يرهقـون العـرب في انحاء جزيرتـك المقدسـة، فهـذا الفقر وتلـك المظـالم والمعاهدات الجائرة تدعوك الى الاحزاب العام بعد ظهر الاثنين المقبل، وذلـك بتعطيـل الاشـغال ووسـائل النقـل وقفـل الدكاكين والمحلات التجاريـة والمقاهي ودور الاعمـال عموماً، وان تتظاهر سلمياً.

في ٢٠ أيلـول ابلـغ المتصـرف مقدمي البيان – بواسـطة شـرطة بغداد بمنع عقد الاجتماع واقامة المظاهرة، فابلغنا الصـحف بالمنع ونشرت الخبر. وفي صـباح اليوم التالي (٢١ ايلـول) بـدأت الشـرطة منـذ الصـباح تقبض علينا وتضـعنا في موقف شرطة السراي، وبدأ محققوا الشرطة التحقيـق معنا. وبعد ان اجـروا التحقيق قدمت الشـرطة الاضـبارة التحقيقيـة الى محكمـة جـزاء بغـداد في يـوم ٩/٢٤ بطلـب محاكمتنـا ونقلنا من مركز شـرطة السـراي الى الموقـف العـام الملحـق بسـجن بغداد في بـاب المعظم، اما الموقوفون فهم مقدموا البيان الى المتصـرف وانا معهم وكذلك عبد المجيد حسـن مدير مطبعة الاداب وثلاثة نسب اليهـم توزيـع المنشـور اليـدوي الى الجمهـور وهم احمد قاسـم راجي وعمر خلوصي الراشـدي وسليم زلوف، ولم تسـتطع الشـرطة القبض على عزيز شـريف وصادق حبة وهما من الموقعين على البيان الى المتصـرف رغم تحرياتها عنهما فقد اختفيا، وعلمت بعد ذلك ان المحل الذي اختفا في عزيـز شـريف كان مزرعة لابن خالته مالـك فتيان االراوي في منطقة سامراء.

نشـرت جريدة الزمـان (وهي جريدة صـدرت بدل جريدة البلاد عندما عطلتها السـلطة) نشـرت تعريفـاً بالموقوفين وقالـت عنـي انـي "ليسـانس في الحقوق من كلية دمشـق ومؤلـف رسـالة انكلـترا في جزيرة العـرب.. ومن الكتاب المهتمين بالقضية العربية، وله فيها مقالات بارعة. وقد كان طالباً في كلية الحقوق البغدادية فاخرج منها لاشتراكه في مظاهرة ضـد الفرد موند.ونشرت جريدة "بغداد تايمس– الاوقات البغدادية – وهي جريدة تصدر من شركة خاصة باللغتين الانكليزية والعربية وهي جريدة موالية للسـلطة البريطانية في بغداد نشـرت في قسـمها الانكليزي فصـلا عن حادثة التوقيف وترجمة للموقوفين .

وبسـبب منع المتصـرف الاجتمـاع والمظاهرة قـدم فريق اخـر متكـون مـن سـعيد الحـاج ثابـت ومحمـود المـلاح ويوسف رجيب وسعيد عباس السامرائي وصادق كمونة وعبد الكريم محمود وعبد الله البراك طلباً الى المتصـرف اشـاروا فيه الى قـرار المنع وان "الواجـب الوطني يحتم موالاة العمل ومواصـلة هذه الفكـرة، لذلك فهم يعتزمون عقـد اجتماع في جامع الحيدر خانة بعد ظهر يوم الجمعة (٩/٢٦) والتظاهـر الى البـاب الشـرقي والعـودة الى الجامع. وقد منع هذا الاجتماع ايضاً وفي ١٩٣٠/١١/٤ قدم الى المتصـرف اخبار ثالث بعقـد اجتماع عام في يوم ١١/٧ في الاوبرا العراقية لمناقشـة المعاهدة وقعه سـعيد الحاج ثابت والمحامي نـوري الاورفه لي والمحامي طاهر القيسـي والمحامـي ابراهيـم السـعدي ويوسـف رجيب وسـعيد عباس السـامرائي وصـادق كمونـة وعبـد الله الـبراك وعمر خلوصـي وكنت انا مـن الموقعين عليه وقد منع المتصرف عقده، ونشـرت صدى الاستقلال في اليوم التـالي شـجباً لموقف السـلطة بمنعهـا عقـد الاجتماعات العامة .

• المعد حفيد الاستاذ حسين جميل

ذاكرة
العدد (4797)السنة الثامنة عشرة
الاثنيـن (26) تشـرين الأول 2020

المحاولات الاولى لادخال السكك الحديد الى العراق

يعد القرن التاسع عشر عصر السكك الحديدية في العالم، فقد شهد مطلع هذا القرن أول الاختراعات في مجال تطوير محاولات سابقة لإنشاء سكك من الحديد يمكن أن تسير عليها المركبات، بعد أن كانت تسير على الأرض مباشرة، وقد وفر هذا التطوير كثيراً من الوقت والأمان الذي كانت تلك المركبات تحتاج إليه في انتقالها بين المدن على طرق بدائية غير معبدة. على أن المركبات نفسها ظلت قريبة مما كانت عليه من حيث أنها كانت تعتمد على قوة الخيل في سحبها على تلك السكك، بيد أن التطوير المستمرالذي شهدته سكك الحديد أدى بالتبعية إلى التفكير بتطوير المرجل البخاري الذي لم تكن قد مضت على اختراعه إلا عقود قليلة ليكون مصدر الطاقة الجديد الذي يحل محل طاقة الخيل السابقة. وبذلك بدأ عصر القطار البخاري إذ سار أول قطار من هذا النوع سنة 1825 لغرض نقل الأحمال، وخلال خمس سنوات أخرى جرى تطويره لنقل الركاب وتأخر دخول سكك الحديد الى الممتلكات العثمانية نحواً من نصف قرن في أقل تقدير.

■ د . عماد عبد السلام رؤوف

وأول مشروع لإنشاء خط سكة حديد في الدولة العثمانية بدأ سنة ١٩٠٩ حينما منح السلطان عبد الحميد الثاني إمتياز إنشاء سكك حديد الأناضول سنة١٨٨٦لتكون تحت إشراف مجلس حكومي من) أركان السلطنة السنية (، وبعد ذلك بسنتين تم إنشاء أول سكة للحديد في فلسطين من يافا الى القدس لنقل الحجاج الأوربيين إليها، إلا أن دخول الدولة العثمانية الى عالم سكك الحديد أخذ خطوات أوسع حينما أمر السلطان بإنشاء سكة حديد تصل الى المدينة المنورة لتسهيل أداء الحجيج مناسك حجهم، وكان هذا مشروعاً كبيراً ومهماً استلزم أموالاً ضخمة جاء جانبٌ غير يسير منها من خلال التبرعات التي انهالت عليه من العالم الإسلامي، واعتمد فيه على الإمكانات المحلية وحدها، وقد استغرق إنشاؤه ثمان سنوات من ١٩٠٠ الى ١٩٠٨ ونبَّه القيام بهذا المروع الى التوسع بإنشاء سكك حديد في أنحاء أخرى من الدولة، وكان السلطان عبد الحميد الثاني قد منح إحدى الشركات الألمانية إمتيازا لإنشاء سكة حديد تمتد من برلين إلى بغداد سنة ١٨٩٩وإمتيازاً آخر لشركة بريطانية لمد السكة من البصرة الى الكويت.

دخلت أولى مشاريع سكك الحديد الى العراق حينما دعا والي بغداد المصلح مدحت باشا سنة ١٨٦٩ الى تأسيس شركة أهلية يساهم فيها عدد من الموسرين، وكلهم من البغداديين لتقوم بإنشاء مشروع جديد لم تكن بغداد، بل العراق،تعرفه من قبل، يتمثل بمد سكة حديد بين الكرخ والكاظمية تسير عليه عربات للركاب، وعرف في يومها باسم الترامواي ، وكان هذا المشروع على تواضعه يمثل تجربة مهمة من أكثر من وجه، أولها أنها علمت العراقيين قيمة اختزال الوقت عن طريق تحسين طرق المواصلات، وثانيها أنها كانت التجربة الاولى في مجال الاستثمار عن طريق إنشاء شركات خاصة ذات نفع عام كالتي تولت إنشاء وادارة خط الترامواي المذكور، وذلك بعد صدور قانون التجارة البرية العثماني في ١٨ رمضان سنة ١٢٨٦ (/ ٢١ أيلول ١٨٨٦ م (وثالثها أنها نجحت في الاستفادة من تجارب دول أخرى تقدمت في هذا المجال، وذلك في طريقة إدارة المشروع بتفاصيله العديدة، عرباته، محطاته، ومظهره، وتذاكره، وجُباته، وموظفيه، وغير ذلك. وزاد من أهمية المشروع جدُّته المطلقة، إذ لم تعرف البلاد وسيلة برية للانتقال، حتّى ذلك الوقت غير ركوب الدواب، بل حتى العربة التي تجرها الدواب لم تكن مستعملة – فيما يظهر– إلا في نطاق محدود، ولسبب غير واضح لنا الان ل لم يفكر القائمون على المشروع باستعمال الماكنة البخارية لجر مركبات الترامواي، مفضلين استعمال الخيل للقيام بهذه المهمة، هذا مع ان استعمال هذه الماكنة جرى في أنحاء أخرى من العالم قبل عدة عقود من السنين من هذا التاريخ، ونعتقد أن سبب ذلك يكمن في قِصَر المسافة التي أريد أن تقطعها تلك المركبات، والكلفةَ المرتفعة التي سيكلفها المشروع في حال استعمال طاقة البخار بديلا للطاقة الحيوانية. وعي أية حال أثبت المشروع– على علاته– كفاءته، وسَدِّه الحاجة الى خدماته بسرعة، والأهم أنه أثبت قدرته على تسديد كلفته، بل ودَرِّ ربحاً مشجعاً على المساهمين في تأسيسه، فأدى ذلك إلى التفكير بتأسيس مشاريع أخرى مشابهة في السنين اللاحقة. منها التفكير في مد سكة حديد من بغداد إلى راوة وتكريت بهدف أن تكون الأخرة عقدة اتصال بن ألوية الموصل وشهرزور)ومركزه كركوك(والسليمانية، وذلك لوقوع قصبة تكريت بمقام الرُئة بالنسبة إلى هذه الأمكنة الثلاثة ، ثم تركت هذه الفكرة بسبب ارتفاع كلفة المروع وإمكانية الاستعاضة عنه بطرق نهرية، والربط بين النهرين بقناة أو نهر، ليكون وسيلة نقل بين هذه مدن هذا الإقليم وصولا إلى حلب. وبالفعل فقد جرى توصيل دجلة بالفرات عن طريق شق قناة سميت الكنعانية (ومهدت بعض المسافات لتكون طرقاً بديلة لذلك المشروع .

وصادف في ذلك العام، أن قصد الشاه ناصرالدين القاجاري بغداد، من أجل زيارة العتبات المقدسة، فاستقبل بحفاوة كبيرة، وشيد لإقامته قصر كبير في بستان واسع يقع خارج أسوار بغداد، سمي بالقصر الناصري حيث تقع مدينة الطب اليوم، وأقيمت الاحتفالات والاستعراضات العسكرية في ساحته لهذا الغرض، وقد انتهز مدحت باشا المناسبة، فعرض على ضيفه مشروعاً طموحاً يقضي بمد سكة حديد من خانقين على الحدود الى بغداد، ومنها الى كربلاء والنجف، ينفق على إنشائها من قيمة بيع بعض الموجودات النفيسة التي تحتفظ بها خزانة مرقد الامام علي في النجف الاشرف ولسبب غيرمعروف لم يلق هذا المشروع قبولاً ومن ثم سرعان ما نسي المقترح كله ولم يعد موضوعاً لحديث،لا سيما بعد انتهاء مدة حكم مدحت باشا نفسه.

على أن فكرة المشروع لم تمت، فقد جرى إحياؤها بعد سنوات قليلة، ففي آخر سنة ١٨٧٨أعلنت جريدة الزوراء عن فكرة يجري تداولها منذ مدة بين عدد من كبار التجار في بغداد لإنشاء سكة حديد تبدأ من بغداد وتصل إلى كربلاء، ومنها إلى النجف، وتمتد من الطرف الآخر إلى خانقين، وبذا يربط وسط العراق بشبكة من خطوط الحديد.

ومن الواضح أن من أهداف إنشاء هذه الشبكة كان تيسير زيارة الوافدين إلى العتبات المقدسة في مدينتي كربلاء والنجف، ونقل الجثامين لدفنها في النجف، سواء من إيران أو من بغداد والمدن الأخرى التي تمر بها تلك السكة بين بغداد وكربلاء، وبين الأخيرة وخانقين، ومن ناحية أخرى فأن من شأن هذه الشبكة الحديثة من الطرق أن تؤدي إلى تنشيط تجارة المحاصيل الزراعية التي تزرع في وسط العراق، لا سيما الحبوب، إلى بغداد وغيرها من المدن، بعد أن كان جانب من هذه المواد يتبع نقله من مناطق إنتاجه مباشرة.ومن المعقول أن تاريخ الفكرة يرقى إلى السنين التي أثبت فيها مروع سكة حديد تراموای الكاظمية نجاحه، ونمو أرباحه، وبالتحديد سنة تمديد خط ١٨٧٠ م أذ طرحت فكرة الترامواي من نفس بغداد إلى قصبة كربلاء وسرعان ما تحولت الفكرة الى مشروع من خلال تكوين شركة من كبار التجار في بغداد، تعمل على تأسيسه، وهؤلاء التجار هم:

١. الحاج عبدالرحمن سليم الباجه جي
٢. الحاج أحمد سليم الباجه جي
٣. الحلج محمود سليم الباجه جي
٤. الحاج مصطفى كبة
٥. السيد حسن كبة
٦. السيد حسن السيد يحيى
٧. يوسف عزره قوجي
٨. مناحيم سلمان دانيال

وقد وافقت الحكومة العثمانية على طلبهم، وجرى توقيع الامتياز في ١٧ شعبان ١٢٩٧ ه ١٨٨٠ م،ووقعه من طرف الحكومة ناظر (وزير) النافعة(الأشغال) حسن فهمي أفندي، أما الطرف الثاني فجميع التجار التقدمين بالطلب .

وتمثل المفاوضات التي جرت بين لجنة إدارة المشروع والحكومة أنموذجاً للأسلوب البيروقراطي البطيء في مثل هكذا مشاريع، حتى انتهت المفاوضات بالتوقف التام، ولم تجدي المحاولات التالية لإحيائه،وحينما اتفقت الحكومة العثمانية مع الحكومة الألمانية على إنشاء خط حديد بين يخترق العراق طولا حتى يصل إلى البصرة جنوباً، وكان مقرراً ان يمر هذا الخط بكربلاء، توقف العمل قبل أن تمتد السكة الى جنوب العراق،وذلك بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى.

عن بحث (مشروع سكة حديد كربلاء)
م . السبط

ذاكرة

العدد (4797)السنة الثامنة عشرة
الاثنيـن (26) تشـرين الأول 2020

جامعة بغداد.. وكيف شيدت بنايتها في الجادرية؟

■ د. سعدي ابراهيم الدراجي

صدر قانون جامعة بغداد رقم (٦٠) لسنة ١٩٥٦ الذي تأسست بموجبه أول جامعة في بغداد ثم الاستعاضة عنه بقانون أخر هو رقم (٢٨) لسنة ١٩٥٨ وعلى الرغم من تأسيس الجامعة وتوحيد إدارتها وتكوين مجلسها إلا أن كلياتها بقيت محتفظة بكيانها القديم في بنايات متفرقة متباعدة مدة من الزمن. حتى كرست الجهود لرسم الخطط ورصدت الاموال لإنشاء البنايات اللازمة لجمع شتات الكليات والمعاهد على صعيد واحد.

بعد أن قررت وزارة المعارف تأسيس جامعة بغداد سعت إلى اختيار موقع ملائم لها تتوافر فيه لمستلزمات الضرورية كافة، وقد رشحت لذلك مواقع عدة هي :

١ــ موقع باب المعظم: الأراضي التابعة الى مديرية الأوقاف والمؤلفة من ثكنة الخيالة وحديقة المعرض ومحطة قطار كركوك آنذاك بوصف الموقع المذكور مناسبا لانه يقع بالقرب من معظم الكليات. بيد ان الحكومة رفضت هذا المقترح وفضلت ان تشيد الجامعة في منطقة نائية أو في محيط المدينة.

-٢ موقع الزعفرانية: ايد مجلس الوزراء المقترح المقدم منوزارة المعارف في عام ١٩٥٣ والقاضي بإنشاء الجامعة في مزرعة الزعفرانية وبررت الوزارة رغبتها لهذا الاختيار، بان مباني الكليات القديمة لا تتوافر فيها الشروط الواجبة وأنها تقع في اماكن مزدحمة بالسكان، كما انها تساعد على تحريض الطلبة والتظاهر ضد النظام.

-٣ وفي أوائل سنة ١٩٥٥ رفع وزير المعارف مقترحا جديدا الى رئيس الوزراء رشح فيه موقعين صالحين لهذا الغرض،الأول شمال بغداد في منطقة الصليخ، والثاني جنوب بغداد على نهر دجلة قرب مزرعة الترجمانية.

-٤ موقع الجادرية: وافق مجلس الوزراء في ٢٤ / ٤ / ١٩٥٥ على اقتراح وزير المعارف لاختيار موقع جامعة بغداد. وتشكلت لجنة لدراسة اقتراح وزير المعارف من الدكتور عبد العزيز الدوري عن وزارة المعارف، وحازم نامق عن المواصلات والاشغال،وعبد الهادي الزوائدي عن وزارة المالية، والمستر سيسا عن مجلس الإعمار . وتوصلت اللجنة إلى اصلح الاماكن هي منطقة الجادرية وذلك لبعدها عن مركز المدينة والاسواق، وموقعها الصحي المتميز بالهدوء، فضلا عن رخص سعر المتر المربع من الأرض فيها. ومن المفيد ذكره ان هذا الموقع هو من ضمن المقترحات التي قدمها المستر (مورغن) رئيس قسم التربية في المعهد البريطاني في لندن وكان قد استقدم من وزارة المعارف العراقية في عام ١٩٤٧ بوصفه خبيرا، ليشارك في تطوير مستوى التعليم في العراق وتاسيس أول جامعة في بغداد. ومما ساعد على تحقيق اقتراح وزارة المعارف هو تأييد أمانة العاصمة التي طلبت من مجلس الإعمار الموافقة على استملاك اراضي الجادرية لصالح الجامعة بوصف الموقع المذكور فريد من نوعه وانها حرصت على الأحتفاظ به كمتنزه في التصميم الأساسي لمدينة بغداد. وبعد جهود مضنية صدر قرار مجلس إلاعمار باستملاك ما لا يزيدعلى مليوني متر مربع من ا رضي الجادرية لإنشاء جامعة بغداد وتبلغت به وزارة المالية ووزارة الإعمار بالكتاب المرقم ٣٥٩ في ٧ اب ١٩٥٧ ومن مميزات موقع الجادرية الذي يشغل بقعة خضراء جميلة في الزوية الجنوبية من بغداد، أنه محاط من ثلاث جهات بنهر دجلة، إذ يستدير النهر ويلتوي في هذه الناحية ليرسم شبه جزيرة غناء بخضرتها وبساتينها . وقد استغل المصمم هذا الموقع لتوجيه الفضاءات نحو النهر من مختلف الاتجاهات وجعل انفتاح الأبنية نحو المحيط وتركيز الفعاليات الترفيهية والبيوت السكنية على الشريط الممتد على ضفة النهر. ونجح المصمم أيضا في استغلال مياه النهر عن طريق فتح قناة شبه دائرية تحمل ماءها من دجلة تحيط بالمنطقة الاكاديمية، والقناة تتوسع لتكون بحيرة داخل مجمع الاقسام الداخلية الجنوبي والمشغولة اليوم من كلية العلوم السياسية. ومن الطبيعي أن يُستغل النهر لسقي المساحات الخض ا ر ء التي تشكل نصف مساحة الجامعة تقريبا.

صدرت سلسلة من القوانين والتعديلات عليها حتى انبثقت جامعة بغداد من مجموع كليات متناثرة ومعاهد علمية متفرقة سعيا للمباشرة بإنشاء بنايات موحدة في موقع واحد تجمع تحت سقوفها المؤسسات كافة. ومن هذه القوانين قانون الخطة الاقتصادية لإنشاء جامعة بغداد رقم ١٨١ لسنة ١٩٥٩ المنشور في العدد ٢٨١ من الوقائع العراقية ٣١ في كانون الاول ١٩٥٩ وكرس لدراسة المشروع وتصميمة وانشائه والإشراف عليه مبلغ ٢٥ مليون دينار بما في ذلك المبالغ المتطلبة للاستملاكات. علما أن الكلفة التخمينية الكلية لهذا المشروع كانت في الأصل أكثر من أربعين مليون دينار.

أما وصف المشروع ومراحل إنجازه فقد نص على تشييد أبنية في الجادرية وأبي غريب تشمل متطلبات الجامعات الحديثة كافة، وتتسع لأثنى عشر ألف طالب وطالبةو تتألف من بناية رئيسية للادارة ومبان للدراسة الاكاديمية لكليات الجامعة جميعها مع قاعات للاجتماعات ومكتبة وبرج الجامعة ومركز للطلبة ونادي للأساتذة ودار لتمريض الطلبة ومتحف ومسرح ومعرض فني وجامع ومخزن تبريد، وستكون هذه الأبنية جميعها مكيفة مركزيا وستضم كذلك أقساماً داخلية مع صالات الطعام والمطابخ. وتضم قاعات للألعاب الرياضية وحوض للسباحة مغلق ودار لرئيس الجامعة وملعب رياضي يتسع ل (٢٠٠٠٠ ألف) متفرج، فضلاً عن تشييد مدخل رئيس وتنظيم الحدائق وتبليط الطرق الرئيسة في الموقع وبناية للصيانة وتجليد الكتب ومستودع.

ومن المفيد ذكره ان مشروع أبنية جامعة بغداد أدرج ضمن مشاريع الاعمار وعدته الحكومة وقتئذ من أهم مشاريعها وأعطته الأسبقية واختارت له معماراً يتمتع بشهرة عالمية واسعة هو الاستاذ والتر كروبيس Waltar Gropius الذي قام بوضع التصاميم اللازمة لها على وفق أحدث المعايير العالمية في تخطيط الجامعات الحديثة. على الرغم من إرسال وزير المعارف (توفيق وهبي) مذكرة لمجلس الوزراء للموافقة على إعلان مسابقة عالمية لوضع تصاميم لمدينة جامعية، كلفت الحكومة العراقية في عام ١٩٥٨ م (شركة تاك الاستشارية TAC : The Architects Collaborative International) التي يتراسها المعمار العالمي والتر كروبيس المولود في برلين في عام ١٨٨٣ بوضع تصاميم لجامعة بغداد على وفق أحدث الأساليب العصرية .

وقبل البدء بالعمل زار العراق وأطلع على الموقع مرات عدة، والتقىبالخبراء والمسؤولين وتدارس معهم سبل العمل وامكانية التنفيذ. وأستعان بخبرات المهندسين العراقيين ومنهم مكتب الاستشاري المعروف هشام منير للمساعدة في وضع تصاميم جانب منها يحاكي الموروث الحضاري لمدينة بغداد.

عن بحث (التصاميم الاساسية لجامعة بغداد) م . التراث العلمي 2019

في ذكرى الانقلاب الاول في ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦

استقالة وزراء الانقلاب .. هل سرّع من سقوطه ؟

■ د . عكاب يوسف الركابي

في مطلع شهر مايس ١٩٣٧ ، ظهرت استعدادات في لواء الديوانية للقيام بحركة عشائرية ، فزاد نشاط شيوخها ووزعت الاسلحة سراً على العشائر ، وقد صمم ، بكر صدقي ، وضباطه على قمع الحركة بالقوة ، بينما آثر ، حكمت سليمان ، اعتقال رؤسائهم بما فيهم اولئك الذين هم اعضاء في البرلمان ، فأصدرت الوزارة بياناً ، في ٨ مايس ١٩٣٧ ، أعلنت فيه ان كلاً من ، علوان الياسري ، ومحسن ابو طبيخ ، العضوين في مجلس الاعيان ، وعبد الواحد الحاج سكر ، العضو في ، مجلس النواب ، قد قاموا في لواء الديوانية ، بجلب الاسلحة وتحريض العشائر على عدم اتباع القوانين ، بقصد القيام بثورة مسلحة ، فقد طلبت الحكومة رفع الحصانة البرلمانية عنهم ، فوافق مجلس النواب والاعيان على ذلك ، واتخذت الاجراءات ضدهم ، وقد نفوا الى الألوية الشمالية .

وبالرغم من ضعف الحجة القانونية في ابعاد النواب ورفع الحصانة النيابية عنهم ، مما عدّ ، فيما بعد ، انتهاك للقانون الاساسي ، كما حفز مخاوف العديد من حلفاء الحكومة في الوزارة والمجلس النيابي ، الا انه كان في النهاية نتيجة متوقعة ومحصلة طبيعية .

شرع رؤساء عشائر السماوة بالثورة ، حالما ترامى الى سمعهم خبر اعتقال قسم من زملائهم ، الا ان الحكومة استعملت القسوة ضدهم ، بألقاء بعض القنابل فأضرمت النار في بعض البيوت وقتل عدد كبير من الاشخاص ، فسارت المظاهرات الاحتجاجية ضد اجراءات الحكومة القاسية في عدد من مدن الفرات الاوسط ، لا سيما ، كربلاء ، والنجف ، حيث كانت ترسل اليها جثث القتلى للدفن ، لقد اشترك قسم غير قليل من عشائر الالوية الاخرى والزعماء الدينيين في العاصمة في هذه الحركة ، وقيل ان لهذه الحركة علاقة بجهة أجنبية . ذكر السيد عبد الرزاق الحسني نقلاً عن حكمت سليمان : " ان السفير البريطاني في بغداد اتصل به وأخبره بالمقابلة التي تمت بين محسن ابو طبيخ ومستشار وزارة الداخلية أدموندس ، وقد أظهر ابو طبيخ استعداده لاثارة القبائل ضد الوزارة ، ثم اتصل السفير مرة اخرى برئيس الوزارة وأخبره بنوايا ابي طبيخ وجماعته وقرارهم بالقيام بالثورة المسلحة ، بعد ان قامت السفارة بتزويد العشائر بالاسلحة " ، ويشير طه الهاشمي في مذكراته الى علاقة محسن ابو طبيخ بالمستشار ادموندس وعزمه على الثورة . ومع ذلك لا يمكن تأكيد صحة ما سبق لعدم توفر وثائق او أدلة ثبوتية كافية .

وبالرغم من ان هناك ما يدل على ان ، حكمت سليمان ، وبكر صدقي ، كانا يخططان لأضعاف سلطة رؤساء العشائر ، التي كانت مصدراً لمشاكل عديدة للحكومات السابقة ، ففي اجتماع مع السفير البريطاني في حزيران ١٩٣٧ ، قال ، حكمت ، بأن من الممكن تفويض سلطة ، رؤساء العشائر، عن طريق ، تجزئة الاراضي الشاسعة التي استمدوا سلطتهم منها وتوزيعها على ابناء العشائر ، الا ان ذلك لا يبيح له استعمال القسوة ، في التعامل مع الانتفاضات العشائرية ، ، بدلاً من محاولة فهم جذور التذمر والمبادرة لإنقاذ الفلاحين من ظروفهم البائسة ، وتخليصهم من استغلال الشيوخ وأصحاب الاراضي .

ان استخدام ، القوات المسلحة ، لكبح العشائر من قبل ، ياسين الهاشمي ، ثم من ، حكمت سليمان ، من بعده ، بدلاً من الاستقالة ، كما فعل ، علي جودت الايوبي ، وجميل المدفعي ، من قبلهما ، قد ادخل بعداً جديداً في المنظومة السياسية المتشرذمة أصلاً ، ووضع الجيش ، وبكر صدقي ، نفسه في السلّم الأول للوزارة ، الإمر الذي عارضه الوزراء الاصلاحيون ، فكان ذلك عاملاً آخر مهد لهم تقديم استقالتهم من الوزارة في ١٩ حزيران ١٩٣٧ . والوزراء المستقيلون هم : محمد جعفر ابو التمن وزير المالية وكامل الجادرجي وزير الاقتصاد ويوسف عز الدين ابراهيم وزير المعارف وصالح جبر وزير العدلية . وفي مقابلة أجراها مؤلف تاريخ الوزارات العراقية عبد الرزاق الحسني مع حكمت سليمان وأوردها في الجزء الرابع من كتابه الصفحة (٣١٨) قال الحسني ما نصه : " أقسم لنا رئيس الوزراء حكمت سليمان بأغلظ الايمان وبالطلاق ، بأن كلاً من وزير المالية الحاج محمد جعفر ابو التمن ووزير المواصلات السيد كامل الجادرجي كانا يلحان عليه بوجوب استعمال القسوة والشدة ضد الحاج عبد الواحد سكر وصحبه بعد ان ثبتت خيانتهم لقضية البلاد الوطنية ، فلما قامت الوزارة ببعض ما يفرضه القانون ، انقلبا عليها ، وقد أكد لنا متصرف لواء الديوانية ماجد مصطفى ما قاله لنا رئيس الوزراء " .

وهكذا يبدو انه ، لم يكن امام ، الوزراء الاصلاحيين ، بعد ان دفعوا الى ((الكواليس)) الخلفية الا ، الاستقالة الجماعية ، واحداث ضجة ترافق ذلك ، حرصاً على صيانة كرامتهم الشخصية وسمعتهم السياسية ، وبذلك انتهت مرحلة مهمة في الحياة السياسية لجماعة الاهالي وفي الحياة السياسية للبلاد ، بالقضاء على جماعة الاهالي ، كقوة سياسية فعالة ، في ذلك الوقت ، في اقل تقدير ، على غير ما كان مؤملاً ولكن حسبما كان متوقعاً . كان حكمت سليمان على علم بان هناك استياء من الوضع العام للبلد وسياسة الوزارة في ظل هيمنة بكر صدقي واحتوائه لرئيس الوزراء ، ولاسيما بالنسبة لكامل الجادرجي ، الذي سبق له وان قدم استقالته الاولى من الوزارة ، في ربيع عام ١٩٣٧ وقدم استقالته ثانية في ٢٦ ايار ١٩٣٧ ، الا ان استقالة الوزراء الاربعة وبخاصة جعفر ابي التمن كانت ضربة قوية له ، ولذلك وصف الجادرجي وقعها على حكمت سليمان كوقع " الصاعقة " ...

لقد كانت استقالة الوزراء الاربعة من الوزارة مفاجأةً وصفعة شديدة ، لحكمت سليمان ، خاصة وان موعد هذه الاستقالة ، تزامن مع زيارة وزير الخارجية التركي والوفد المرافق له الى العراق .

لم يبال ، رئيس الوزراء ، كثيراً لخسارة الوزراء الثلاثة الآخرين ، لكنه اراد الحفاظ على وزير المالية ، جعفر ابو التمن ، (حاول بكر صدقي اقناع جعفر ابو التمن للعدول عن استقالته ، لكن ابا التمن رفض ذلك قائلاً : " اني أرفض ان احمل الطبل بينما انت الطبال ") لما له من حجم ومنزلة شعبية متميزة في المجتمع ، لذلك بذل جهوداً لرأب الصدع الا ان هذا كان مستحيلاً لسببين ، اولا ، ان ، جعفر ابو التمن ، وجماعته ، وزعوا نسخا من استقالتهم في بغداد ومناطق الفرات الاوسط وفي المدن المقدسة ، ويبدو أنهم أرادوا من عملهم هذا ، إرباك رئيس الوزراء ، ونشر روح السخط ضد الحكومة ، كما اتهموه ((بقسوة لا مبرر لها في معالجة الاضطرابات في مناطق العصيان)) ، وقالوا بأنهم ما عادوا قادرين بعد ذلك على الاقتران ((بمثل ذلك الطغيان)) . وثانياً : اكتشفت الحكومة بأن ، جعفر ابو التمن ، وكامل الجادرجي ، كانا قد حاولا تنظيم إضراب عام في بغداد في اليوم التالي لاستقالتهما .

عن رسالة (حكمت سليمان ودوره في السياسة العراقية)

ذاكرة
العدد (4797)السنة الثامنة عشرة
الاثنيـن (26) تشـرين الأول 2020

طرائف اذاعية

■ محمد علي كريم

غرفة مدير الاذاعة عام ١٩٥٦ : حافظ القباني ، سعاد الخرمزي ، صبحي ابو لغد وناجي صالح مع آخرين

ام كلثوم تعاتب اذاعتنا

من طرائف ما يذكر أن السيدة ام كلثوم قدمت شكوى ضد إذاعة بغداد عن طريق وزارة الخارجية رافضة طريقتنا في نقل حفلاتها من اذاعة القاهرة، وقد اجبنا على شكواها بان قانون الملكية الفنية المعمول به في العراق يجيز لنا نقل ما نريد كما يجيز النقل عنا لان الوطن العربي واحد ولا فرق بين بلد عربي وأخرى . وقد عاتبتني السيدة ام كلثوم شخصيا عندما كنت احضر حفلتها الغنائية في القاهرة في ٦ كانون ١٩٥٦ بعد أن أطرت العراقيين ووصفتهم بأوصاف جميلة أمام الجالسين معها ومنهم الشاعر احمد رامي، وقد أجبتها بأنها هبة من الله وان كل قطر عربي له حصة فيها ونحن بنقلنا لأغنياتها نأخذ حصتنا مقدما.. وقد حكمت السيدة أم كلثوم وقالت.. حسنا انقلوها ولكن بطريقة فنية (نظيفة) لا تؤثر على الأغاني .

بدايات النقل الخارجي

أول نقل كان حفل افتتاح سدة الكوت الذي حضره الملك غازي، وكان ذلك عام ١٩٣٨ وبصوت المذيع حسين الكيلاني، بعدها نقلوا من الحبانية حفل افتتاح مشروع آخر ثم حفل وضع حجر الأساس لجامع الشهيد الحالي، ثم نقل المرحوم يونس بحري حفلا فنيا من ملهى صيفي أقيم في جريرة السندباد. و ثم النقل عن طريق الهاتف الذي كان يصل المكان الذي يجري فيه الحفل برقابة الإذاعة ثم إلى الجو، وقد استخدمت هذه الطريقة في نقل العديد من أغاني الأفلام من دور السينما مباشرة، اذكر منها أغاني فيلم (انتصار الشباب) و(حبيب العمر) و(دنانير) و(الماضي المجهول) . و في أواخر عام ١٩٤٨ ، اشترت الإذاعة العراقية جهازي تسجيل (سلكي معدني) ماركة (وبكور) ثم تحولت بعد ذلك إلى أشرطة. وكان حين يلح علينا المستمع في طلب أغنية ما، كنا نجد أنفسنا أمام طريقين، الأول (استدانة) اسطوانات خام من بعثات إذاعة الشرق الأدنى واذاعة البي بي سي اللندنية، التي كانت تصل إلى العراق لتسجيل الفنون العراقية من غناء وموسيقى وتمثيليات وبذلك تتاح لنا فرصة تسجيل ما نريد.

اما والطريقة الثانية فكانت عندما نحتال على الإذاعات الأخرى باستخدام جهاز الاستقبال الضخم الذي كانت تملكه الإذاعة والذي يمكننا من استلام الأصوات الواضحة من اية محطة خارجية ولما كنا نعرف برامج إذاعة الشرق الأدنى مقدما عن طريق (مجلة الشرق الادنى) التي كانت تنشر برامجها الشهرية، لذا فقد كان تركيزنا على هذه الاذاعة بالذات واذكر في حينها ان اغنية (همسة حائرة) كانت (ضاربة) كما يقولون وتملك امتياز إذاعتها إذاعة الشرق الأدنى فقط، وبحيلة بسيطة كنا نضع المؤشر على هذه المحطة ويكون مذيعنا في بغداد جاهزا في الأستوديو، وعندما يقول مذيع الشرق الأدنى جملته (هنا محطة الشرق الأدنى) يقول مذيعنا (هنا بغداد) ثم نلتقط الأغنية ونبثها على الجو.

اول المذيعات العراقيات

في عام ١٩٤٣ ، عملت المرحومة فكتوريا نعمان كأول مذيعة في اذاعة بغداد لمدة لا تتجاوز العام وزاملتها في العمل السيدة امينة الرحال ولفترة بسيطة ايضا، ثم دخلت السيدة صبيحة المدرس الاذاعة في عام ١٩٤٥، واختبرت للعمل كمذيعة لتمكنها من اللغة العربية اضافة الى كونها شاعرة، وقد عملت السيدة صبيحة لفترة طويلة ولم تترك الاذاعة الا بعد ان استلمت عملها كمديرة لسجن النساء، ثم عادت مرة اخرى للعمل الى ان تقاعدت في أوائل الستينيات. وكانت ردود الفعل بين الناس مختلفة وحسب الامزجة والثقافة العامة .الحقيقة أن عمل السيدة صبيحة في الإذاعة حدث كبير قوبل بالتعجب إلا أن دماثة خلقها وحسن تصرفها وسلوكها الطيب، جعلها مذيعة محترمة من الجميع، وعزيزة على قلوب زملائها حتى آخر يوم عمل لها في الإذاعة. في بداية عام ١٩٥٨ ، دخلت الاذاعة مذيعة جديدة وتلميذة في كلية الصيدلة هي السيدة وداد خضر وظلت تعمل لسنوات، ثم توالى انضمام المذيعات للعمل بعد عام ١٩٥٩ .

وانتسبت الى اذاعة بغدا اللاسلكية

في أواخر الثلاثينيات، كنت أتردد على إذاعة بغداد التي افتتحت في صيف ١٩٣٦ للمشاركة في التمثيل مع فرقة المرحوم عبد الله العزاوي، واذكر أن مسرحية (مجنون ليلى) هي المسرحية الشعبية الأولى التي تقدم من اذاعة بغداد، وقد شاركت في تمثيلها مع الفنان عبد الله العزاوي والفنان محمود المعروف.. وفي تلك الفترة كلفني السيد فؤاد جميل مدير السكرتارية (الإذاعة) بقراءة الأحاديث الإذاعية التي لا يقدمها كتابها بأصواتهم، وقد زادني هذا العمل تعلقا وشغفا بالإذاعة، فكنت استمع إلى (إذاعة القاهرة) وإذاعة (القدس)، وأتابع البرامج العريقة التي كانت تقدمها، ومنها منلوجات (منير ومثيرة) للفنان فهد نجار . وكان السيد عبد الستار فوزي هو اول مذيع عمل في الإذاعة حين كانت سكرتارية تابعة لوزارة المعارف ، ثم جاء بعده المذيح والصحفي المرحوم يونس بحري الذي كان يصدر جريدة (العقاب) ثم انتقلت الإذاعة من سكرتارية إلى مديرية ألحقت بمديرية الدعاية في وزارة الداخلية في اوائل عام ١٩٣٩، وكان اول مذيع في هذا العقد هو السيد حسن الكيلاني ، وجاء بعده عبد اللطيف الكمالي والمرحوم كاظم الحيدري .

بعد ثورة مايس ١٩٤١، أعلنت الإذاعة عن حاجتها لمذيعين جدد وتقدم حوالي ثلاثمائة وثمانون شابا وبعد (التصفيات) لم ينجح الا اربعة هم الزميل وديع خوتدة والمحامي جهاد العبايجي والمرحوم حامد الهاشمي وانا وبدأنا عملنا مع المرحوم موحان طاغي والسيد عبد الحميد الدروبي وناظم بطرس. – اختبرتنا لجنة كانت تستمع إلى أصواتنا ونحن نقرأ ثم تسألنا بضعة أسئلة كي تحدد صلاحية الصوت والتمكن من اللغة وسرعة البديهة، وحسن الإلقاء والثقافة العامة وهذه هي الصفات التي يجب أن تتوفر في المذيع في كل مكان وزمان.

تركت الاذاعة بعد فترة بسبب القاء القبض علي بتهمة الانتماء الى كتائب الشباب في ثورة مايس ١٩٤١، وحكم علي بالسجن لمدة سبعة اشهر وفصلت من الاذاعة اضافة إلى فصلي من عملي ككاتب مستخدم في مديرية البلديات. ويبدو ان السيد ارشد العمري رئيس الوزراء في ذلك الوقت، كان غير مقتنع بأصوات المذيعين، لذا فقد أرسل بطلب المرحوم حسين الرحال مدير الإذاعة وطلب منه المذيعين الذين سيخضعون الى اختبار جديد بحضور السيد ارشد العمري شخصياً، وقد تم الاختبار بالفعل ولم ينجح فيه غيري أنا والزميل ناظم بطرس والسيدة صبيحة المدرس، وبذلك توزعت ساعات البث بيننا نحن الثلاثة.

ج. الأتحاد 1989

من طرائف بيع الكتب في الجيل الماضي وغرائبه

من طرائف وغرائب وحِيَل بائعي الكتب ومقتنيها، ما ذكره صاحب مكتبة المثنى ببغداد قاسم محمد الرجب في مذكراته:

١. كان أكبر زبون للسوق وللكتاب هو عباس العزاوي المحامي، فكان يتردد إلى السوق أربع مرات أو أكثر في كل يوم فلا يفوته كتاب مطبوع أم مخطوط. وإذا ما وقع كتاب خطي ولم يشتره العزاوي، فإنه يبقى سنوات دون أن يباع.

٢. كان محمد سعيد الجركجي يرتدي الجزِّية أو اليشماغ أحياناً مع الصاية والعباءة، وهو مداوم لا ينقطع، يطالع كتب الحديث والفقة وتراجم الرجال في الجرح والتعديل ومصطلح الحديث وكتب الخلاف والجدل وغير ذلك؛ وبالرغم من كثرة ما يطالعه وما يقتنيه من كتب لا أظنه قد جنى شيئًا من مطالعاته، بل لم يحسّن قراءة سطر واحد على الوجه الصحيح !

٣. كان رضا الأعرج كما يعرف بيننا، لا يدع كتابًا إلا اقتناه، لاسيما الكتب الحديثة، ومن شدة اهتمامه بالكتب وحرصه على اقتنائها فإنه يمر يوميًا بالمكتبات كافة كبيرها وصغيرها، وحتى باعة الصحف في الأكشاك.وإذا بلغه أن إرسالية ستصل إلى واحد منهم فإنه لا يذهب في ذلك اليوم إلى بيته بل يبقى ملازمًا له ولو إلى نصف الليل، فيفتح الصناديق بنفسه ويحملها كلها وينظمها فيساعدنا جميعًا لكي يخرج بكتاب من تلك الكتب يشتريه بتخفيض بسيط، ويذهب به مسرورا، وأنا واثق بل أجزم بأنه لم يفتح كتابًا من كتبه أو طالعه منذ عرفناه.

٤. كان العلامة أمجد الزهاوي عندما يختار الكتب ويريد شراءها فإنه لا يساوم على أثمانها على الرغم من أن أصحاب المكتبات لا يَقرّ لأسعارهم قرار.وعند تمام موافقته على شراء صفقة الكتب فإنه لا يدفع ثمنها حتى يُلقّن البائع صيغة البيع الشرعية، كأن يقول له (إنني اشتريت منك كذا وكذا وكذا بمبلغ قدره كذا فهل وافقت؟) فيقول البائع (وافقتُ) فيدفع إليه الثمن.وإذا أراد الشيخ أمجد الدخول إلى المكتبة، فإنه لا يدخلها قبل أن يخلع نعليه ويضعهما تحت أبطه، وهو بهذا يتحاشى أن يدوس ورقة، إذ ربما كان في تلك الورقة لفظ الجلالة.

٥. ومن الطرائف أن أحد الكتبية المسنين وهو عبدالحميد التركي، كان يبيع المجلات والكتب القديمة والتركية خاصة، وكان غريبًا بأطواره، فمثلاً إذا أعجبك عنده كتاب وساومته، وغادرتَ مكتبته ولو لمسافة خطوة واحدة ثم عُدتَ إليه، فسوف يقول لك:

إن هذا الكتاب قد بيع ! فلا يُظهره إلا بعد سنوات. ولم يكن هذا الرجُل يغالي بالثمن، ولم يتعسف، وإذا اشترى كتابين مثلاً أحدهما في الجبر والآخر في الجغرافية، وجاءه مشتر يريد أحدهما، فإنه لا يرضى ببيعه بمفرده ما لم يُقتنَ منه الاثنين معًا، ويقول للمشتري إنه ما دام اشترى الكتابين صفقة واحدة فهو لا يبيع أحدهما دون الآخر !

٦. أما الكردي فلا يشتري كتابًا ما لم يكن ورقه أصفر من النوع النباتي، فإذا قُدِّم له كتاب طُبع على ورق أبيض فقد يتحرَّج ويتلكأ في شرائه، فإذا لم تتوفر الكتب المطبوعة على الورق النباتي فإنه يعمد إلى شراء شيء من الزعفران يصبغ به صفحات الكتاب كافة. والناس أذواق.

٧. كنتُ قد استوردتُ كثيرًا من الكتب النفيسة النادرة، ولكنني عجزت عن بيعها وتصريفها، فبَارَت عندي وتكدست في مكتبتي ومخزني وحرت فيما أفعل بها لأتخلص منها فقد تضايقت نفسيًا منها، وأصابني ضيق مادي من جراء ما تجمع لديَّ منها، فأخذتُ أسجِّل أسماءها، وعرضت مشكلتي على أحد أصدقاء المكتبة وقلت له: ما رأيك لو كتبنا عن المكتبة العامة وانتقدناها لخلوها من هذه الكتب؟

فاستحسن هذه الفكرة ورحّب بها، وكانت له علاقة وثيقة بإحدى الجرائد، وطلبتُ إلى صديقنا أن يلوم وزارة المعارف على إهمالها المكتبة العامة وعدم تزويدها بما تحتاج إليه مما يَجدُّ من الكتب المهمة والصادرة حديثًا، وذكرنا عناوينَ تلك الكتب، فصدرت الجريدة ذات صباح، وإذا بمدير المكتبة العامة يأتي إلى مكتبتي المتواضعة، ووقع نظره على معظم الكتب التي نشرت الجريدة أسماءها حسبما ذكرت، فقال: إنني أريد شراء هذه الكتب جميعًا، وفعلا اشتراها، فرزمتها ودفع لي ثمنها كاملا.

عن (مذكراتي في سوق السراي)

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (4797) السنة الثامنة عشرة
الاثنين (26) تشرين الأول 2020
www.almadasupplements.com

رئيس التحرير التنفيذي: علي حسين
سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق
الاخراج الفني: علي كاطع

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون